

## حول تأسيس مدينة العباسية بإفريقية\*

عبد الحميد فنيّة  
كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية بتونس

### ملخص

علم النميات، إفريقية، العباسيون، الأغالبة، تأسيس العباسية، طوبونوميا

في سياق تحقيقنا لأسماء بعض دور السكّة بإفريقية نتناول بالدرس في هذا العمل إشكالية تاريخ تأسيس مدينة او مدن العباسية بإفريقية في العصر الوسيط المتقدم. من خلال مقارنة تعتمد المراوحة بين المصادر النموية و المصادر المكتوبة لاستقراء و تأويل المعلومات الواردة فيها بخصوص هذه المسألة، نسعى لتقديم قراءة مغايرة تسمح بإعادة النظر في التاريخ السائد إلى الآن و ذلك بالتوازي مع تحديد موضع قصر العباسية أو القصر القديم في عهد الولاة العباسيين مقارنة بالمدينة الأميرية الأغلبية التي شيدها إبراهيم بن الأغلب فور توليته إمرة إفريقية من قبل الخليفة العباسي هارون الرشيد.

### A propos de la fondation de la ville d'al-°Abbâsiyya d'Ifrîqiya

Numismatique ; Ifrîqiya ; °Abbâsîdes ; Aghlabides ; fondation d'al-°Abbâsiyya ; toponymie

#### Résumé :

Nous nous proposons, dans le cadre de notre enquête sur certains ateliers monétaires d'Ifrîqiya, de traiter ici de la question de la date de fondation de la ville/ villes d'al-°Abbâsiyya d'Ifrîqiya au haut Moyen Âge. Notre approche se fonde sur un croisement des informations recueillies dans les sources numismatiques avec celles des sources textuelles et tente une relecture de ces sources afin de renouveler nos connaissances sur la datation admise jusqu'ici. Elle nous permettra ainsi de déterminer l'emplacement exact de Qasr al-°Abbâsiyya ou le Vieux Château à l'époque des gouverneurs °abbâsîdes par rapport à celui de la ville princière aghlabide, dont la date de fondation est attribuée unanimement à Ibrâhîm b. al-Aghlab dès sa nomination à la tête de l'Emirat par le calife °abbâsîde Hârûn al-Rashîd.

#### جامعة تونس

يطيب لي أن أتوجه بجزيل شكرنا إلى الأستاذ راضي دغفوس، مدير "مخبر العالم العربي الإسلامي الوسيط"، على مساعدته لإنجاز هذا العمل. أشير إلى أن هذه الدراسة قدمت شفويا في أشغال الملتقى الدولي الثاني حول "القبيلة- المدينة- و المجال في العالم العربي الإسلامي الوسيط، تونس 10-12 أبريل 2003، و الذي نشر مؤخرا من طرف مركز الدراسات و البحوث الاقتصادية و الاجتماعية، تونس، 2007.

من المعلوم أن المدينة الأميرية الأغلبية العباسية زالت تماما و لم تبقى من الآثار الدالة عليها شيئا يذكر. فالحفريات الوحيدة التي أجريت على موضع يرجح أنه مدينة العباسية المندثرة<sup>1</sup>، و التي تعود إلى بداية القرن العشرين، لم تسفر على نتائج تسمح بالتعرف على ملامحها المعمارية و تطورها التاريخي، خاصة و أنها لم تشمل سوى خمس الموضع حسب تقدير G. Marçais و أنها أجريت على المناطق الهامشية شمالي و غربي "المدينة"<sup>2</sup>.

1

1 . انظر دراسة:

G. Marçais, « Fouilles à Abbâssîya, près de Kairouan », *Bulletin Archéologique du Comité des Travaux Historiques et Scientifiques (BACTHS)*, 1925, p. 293-306.

التي جاء فيها بالصفحة 293 :

« Une tradition encore vivante dans la région de Kairouan permet de désigner un tell situé à 4 kilomètres de la ville, vers le sud, comme l'emplacement probable de Qaçr-el-Qadîm ou Abbâssîya, la résidence princière aghlabides au IX<sup>e</sup> siècle de l'ère chrétienne (III<sup>e</sup> de l'hégire) ».

2 . انظر نفس الدراسة، ص. 294 :

« Les recherches en avaient affecté tout au plus la cinquième partie. Elles avaient entamé les rebords nord et ouest de ce plateau rectangulaire de 53 mètres sur 38... que cette partie du moins du tell d'Abbâssîya comportait des communs, des bâtiments de service, magasins, celliers ou cuisines. Des salles d'habitation ou d'apparat plus vastes peuvent se trouver dans une autre partie du tell ; les premières recherches ne donnent pas le moyen de le savoir, encore moins de reconstituer un plan d'ensemble ».

لم تحض إذا هذه المدينة المغمورة لحد الآن بالعناية الكافية من حيث الدراسة على غرار مدن أخرى أحدثت بالمغرب الإسلامي<sup>3</sup> على أهميتها. فهي مدينة أميرية لعبت دورا بارزا في تاريخ إفريقية في العهد الأغلبي، إلى جانب حاضرة الإمارة القيروان. مجمل القول أننا نجهل الكثير عن تاريخ مدينة العباسية و حتى المنزر القليل الذي نعلمه حولها و الذي يتعلق أساسا بتاريخ تأسيسها، و إن بدا للبعض مؤكدا، فهو لا يزال قيد البحث و التدقيق و لم يحسم أمره بعد بصفة نهائية. فكل ما نعرفه حول هذه المدينة مستمد من المصادر العربية<sup>4</sup> دون سواها من المصادر نتف قليلة مبهمة لا تتعدى ذكر حدث تأسيسها. حيث تجمع هذه المصادر -و في سياقها نحت الدراسات التاريخية- على أن إحداث مدينة العباسية يعود إلى إبراهيم بن الأغلبي (184-196/800)، مؤسس الإمارة الأغلبية، الذي أنشأ مدينته قرب القيروان فور توليته شؤون ولاية إفريقية سنة 184 هـ./800، من قبل هارون الرشيد<sup>5</sup>. غير أن شواهد نمية (numismatique) ورد عليها اسم العباسية، سكها ولاة إفريقية العباسيين<sup>6</sup>، تحمل على الظن بأن هذه المدينة وقع تشييدها قبل قيام الإمارة الأغلبية (184-196/800-909). أم هل انها تشير إلى أن إفريقية و المغرب الإسلامي عامة لم تشهد فقط تأسيس مدينة العباسية الأغلبية المعروفة، كما يعتقد غالبا، وإنما مدنا أخرى حملت هذا الاسم و هي تعود إلى فترة الولاة العباسيين (134-184/752-800). و لكن ما هو الاحتمال الأكثر وجاهة حينئذ لتفسير المعطيات الواردة على السكة والتي تبدو متضاربة مع تلك التي تقدمها المصادر المكتوبة ؟ أم هل أنه بالإمكان التوفيق بين المصدرين ؟ سوف نحاول من خلال هذا البحث تناول هذه المسألة بالدرس لاعتقادنا انه بالإمكان إعادة النظر في هذه المسألة و استقراء جديد لهذه المصادر المنسية في أبحاث المؤرخين<sup>7</sup> دون أن يكون ذلك ضربا من ضروب المجازفة أو الاجترار العلمي. غايتنا الوحيدة هي تحديد موضع مدينة العباسية الوارد اسمها على السكة و ضبط تاريخ إنشائها، دون غيرها من المسائل المعمارية و التاريخية.

<sup>3</sup> . تجدر الإشارة إلى انه لم تفرد لهذه المدينة دراسة خاصة الا مؤخرا. أنظر دراسة فوزي محفوظ، قصر الماء، العباسية، القصر القديم : تعددت الأسماء و الموضوع واحد! ، إفريقية، 19، 2002، ص. 119-144 ، خاصة ص. 119-120. نفس الدراسة نشرت باللغة الفرنسية تحت عنوان:

F. Mahfoudh, « Qasr al-Mâ, al-Abbâsiya et al-Qasr al-Qadîm : à propos de quelques agglomérations près de Kairouan », dans *CRAI*, 1<sup>er</sup> fasc., Paris, 2003-2, p. 49-64.

لا يفوتني أن أتوجه بجزيل الشكر إلى صديقي الأستاذ فوزي محفوظ الذي أفادني كثيرا في إنجاز هذا البحث.  
<sup>4</sup> . نفس المرجع ص. 119-144 (انظر خاصة ص. 128-142).

<sup>5</sup> . أنظر مقال ح.ح. عبد الوهاب (al-Abbâsiyya). (EI<sup>2</sup>) ، ج. 1، ص. 24-25 : نفس المؤلف، و رقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، ج. 1، تونس، 1965، ص. 353-359 : محمد الطالبي، الدولة الأغلبية، تعريب المنجي الصيادي، بيروت، 1985، ص. 153-154. أنظر أيضا :

H. Fournel, *Les Berbères. Etude sur la conquête de l'Afrique par les Arabes*, vol. I, Paris, 1875, p. 450-2 ; G. Marçais, « Fouilles à 'Abbâsiya », p. 293-306 ; *Idem.*, *L'architecture musulmane d'occident*, Paris, 1954, p. 26-27 ; M. Salignac, « Recherches sur les installations hydrauliques de Kairouan », *Annales de l'Institut d'Etudes orientales (AIEO)*, X, 1952, p. 212-227 ; M. Vonderheyden, *La Berbérie orientale sous la dynastie des Bénou-l'Arab* ; Paris, 1927, p. 191-192.

<sup>6</sup> . أنظر:

N. Lowick, *Early 'Abbâsid coinage. A type corpus (132-218 H/ AD 750-833). A posthume work by Nicholas Lowick*, éd. E. Savage, Londres, 1999, p. 44-69, n° 1-266.

<sup>7</sup> . Voir D.J.G. Stickel, *Handbuch zur morgenländischen münzkunde*, I, Leipzig, 1845, p. 61-63 ; E. Von Zambaur, « Contributions à la numismatique orientale. Monnaies inédites ou rares des dynasties musulmanes de la collection de l'auteur », dans *Numismatitche Zeitschrift*, XXXVI, Vienne, 1905 (1904), p. 47 : « La question de la fondation d'el-Abbâsiyya près de Qairewân, souvent débattue, mériterait d'être posée encore une fois ».

## I- إشكالية ضبط تاريخ تأسيس مدينة العباسية الأغلبية

عند تعرضه، في أطروحته حول الإمارة الأغلبية، لمسألة تأسيس مدينة العباسية من قبل إبراهيم بن الأغلب استغرب الأستاذ محمد الطالبي تزامن أولى إصدارات دار ضرب العباسية في العهد الأغلي مع تاريخ تأسيس هذه المدينة كما أجمعت عليه أو تكاد المصادر العربية. لأن ذلك يوحي، من منظوره، بأن إبراهيم بن الأغلب "عجل منذ سنة 184 هـ. بضرب السكة" بالعباسية و كأنه أراد "تخليد ذكره بتسجيل تاريخ الحدث" و "إحتفاء به". وهو ما يحمله على عدم قبول شهادة المصادر النمية معتبرا أن لا مجازفة في القول بأن "العباسية لم توجد في ذلك التاريخ بصورة عملية إلا على قطع النقود التي كانت مخصصة لإذاعة الخبر السعيد، و التعريف في الشرق بالاعتراف و بمبايعة أمير إفريقية أسياده الذين سميت باسمهم المدينة، و قد وضع حجرها الأساسي إن صح القول - وهو حدث احتفي به في ضرب خاص للسكة. و حتى في أيامنا هذه نتنظر بالفعل المدن الجديدة أكثر من بضعة شهور للظهور". و هكذا فإنه يجزم بشكل قطعي أن مدينة العباسية لم تكن سنة تولي إبراهيم بن الأغلب إمارة إفريقية "سوي مشروع بكل تأكيد، و مقصد و برنامج للسياسة الخارجية بالخصوص، و بمرور الوقت، و تطور الوضع و ظهور المصاعب، لا بد أن الأمير اكتشف بالتدريج أن المدينة المزعم بناءها، و التي كانت بصد الإنجاز، في الإمكان أن تكتسي منفعة أقل رمزية و أكثر حساً" مضيفاً أنه "لا يوجد في هذا التاريخ أي علامة تسمح بالتأكد أن العباسية و قصرها الأبيض أصبحت ذلك الحصن المنيع القريب من الحاضرة و الذي يمكن استخدامه عند الحاجة كملجأ أمين، ينفذ إليه بسرعة و سهولة، ثم أنها كانت تستعد لتعويض القيروان، كما تطلب ذلك تطور الأحداث، بصفتها إقامة رسمية للامراء" و أن إبراهيم بن الأغلب لا يزال "يقيم لا محالة بالقيروان في سنة 802/186"<sup>8</sup>

بعد هذا الإقرار بأن مدينة العباسية لم تأسس سنة 184/800 باعتبار أن هذا التاريخ يمثل لحظة الشروع في تشييد هذه المدينة والتي سوف تتطلب حتما فترة زمنية ما لتصبح مكتملة المعالم، و إنما بعد ذلك، ربما سنة 185 هـ.<sup>9</sup> أو بعد سنة 186 هـ. يستطرد الأستاذ محمد الطالبي معلقاً على رواية البلاذري (ت. 279/892 أو قبل 302/915) حول تأسيس العباسية أن لفظة "ابتني" التي يستعملها هذا المؤرخ، عند حديثه عن القصر الأبيض الذي شيده إبراهيم بن الأغلب، ربما تعني "الترميم و التطوير" مضيفاً "و إلا فكيف يفسر أن إبراهيم الأول تمكن من ضرب النقود بها منذ سنة 184؟ لا يشيد القصر، مهما كان متواضعا، في بضعة شهور، و لا يقبل في مثل هذا الوقت القصير، مصنعا لضرب السكة".

نلاحظ، دون شك، حيرة الأستاذ محمد الطالبي في تحديد لحظة تأسيس مدينة العباسية نظرا لصعوبة التوثيق بين المعلومات الواردة في المصادر المعتمدة و التي بدا له بعضها يتعارض مع منطق التطور التاريخي للأحداث. فشاب عرضه بعض الإضطراب و التناقض. ما يهمننا بالأساس من هذا العرض هو التأكيد على نقطتين. الأولى أن الرأي المسلم به في الدراسات التاريخية، بالاعتماد على المصادر المكتوبة، و الذي لا جدال فيه، هو أن تأسيس مدينة العباسية يعود إلى مؤسس الإمارة الأغلبية فور توليه إمرة إفريقية سنة 184 هـ. أما النقطة الثانية فتتعلق بوجود مصادر نمية تؤرخ لحدث تأسيس مدينة العباسية. كان الأستاذ محمد الطالبي، أحد المؤرخين القلائل الذين تفتنوا لوجودها و لو أن تحليله قاده في النهاية إلى رفض شهادتها مفضلا شهادة المصادر المكتوبة على تأخرها زمنيا عن سير الأحداث، إذ تعود أقدم الروايات إلى أواخر القرن الثالث هجري (التاسع ميلادي)<sup>10</sup>. و اللافت للانتباه أنه اقتصر في تناوله للمسألة على الشواهد النمية التي تعود إلى الفترة الأغلبية مهملا تلك التي تعود للفترة السابقة بالرغم من علمه بوجودها، بدليل اعتماده في أطروحته حول الإمارة الأغلبية على دراسة H. Fournel التي تشير إلى هذه الإصدارات<sup>11</sup>.

<sup>8</sup> . الطالبي (م.)، الإمارة الأغلبية، ص. 154. لا بد من الإشارة هنا أن الأستاذ محمد الطالبي ، نظرا لهذه الاعتبارات المنطقية، يفضل رواية ابن عذاري، البيان المغرب ، ج. 1، ص. 92، و التي جاء فيها أنه " في سنة 185 شرع إبراهيم في بناء مدينة القصر القديم (ضمنيا العباسية) و صار بعد ذلك دار لأمراء بني الأغلب".

<sup>9</sup> . أنظر مثلام . الرماح "ملاحظات حول ضرب السكة بالقيروان"، إفريقية، 19، 2002، ص. 5-16. و بالخصوص ص. 8-9 حيث يعتبر أنه "منذ أن أسس إبراهيم بن الأغلب سنة 185 هـ. عاصمته الجديدة "العباسية" أصبح أمر تحديد دار الضرب أكثر تعقيدا و لم يعد مصطلح إفريقية ينطبق على القيروان، خاصة و أنا نملك درهما يعود إلى عهد إبراهيم الثاني يشير صراحة إلى أنه ضرب سنة 275 هـ. بالعباسية و هو ما يدعو إلى الاحتراز و التوقف. ثم إن إحداث دار ضرب العباسية لا يعني تعطيل مثيلتها بالقيروان خاصة و أن المدينة قد ظلت تمثل قلب إفريقية و شريانها الاقتصادي و لم تكن العباسية التي اتخذها الأغالية قلعة اعتمسوا بها لتخل بنشاط دار الضرب بالقيروان لقربها من العامة حيث يبسر وجودها هناك معاملاتهم و حاجاتهم لسك النقود و إعادة ضرب ما فسد منها".

<sup>10</sup> . البلاذري، فتوح البلدان، تج. رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت 1983، ص. 235 : يعقوبي، كتاب البلدان، ص. 348.

<sup>11</sup> . H. Fournel, *Les Berbères*, I, p. 451, note 4.

## II- إشكالية تحقيق دار/ دور ضرب العباسية بإفريقية

نلاحظ نفس الحيرة لدى أبي الفرج العشي في مصنفه الجامع حول السكة الأغلبية<sup>12</sup> في سياق تحقيقه لأسماء دور السكة في العهد الأغلبي. فعند تعرضه لدار ضرب العباسية، حاول بدوره التوفيق بين مختلف المعلومات الواردة في المصادر العربية و تلك التي استقاها من الشواهد النمية. ليخلص إلى القول بأن إفريقية و المغرب الإسلامي عامة عرفتا تشييد عدة مدن حملت اسم العباسية "تكريما للخلافة العباسية و تثبيتا لنفوذها"، وهي ثلاث:

- المدينة الأولى التي سميت بهذا الاسم شيدها عمر بن حفص بالزآب سنة 151 هـ/768 كما جاء في رواية البلاذري<sup>13</sup> و هي التي أصبحت فيما بعد -من منظوره- تسمى طبنة. مضييفا بأن عباسية عمر بن حفص (15-1-768/154-771) ربما أنشأت على أنقاض مدينة سابقة مهجورة.

- المدينة الثانية وهي المدينة الأميرية الأغلبية التي شيدها إبراهيم بن الأغلب سنة 184 هـ. أو ربما سنة 185 هـ. و التي تقع على بعد ميلين أو أربعة جنوبي القيروان.

- المدينة الثالثة، وهي أحدث المدن عهدا شيدها محمد الأول بن الأغلب (226-242/841-856) قرب مدينة تاهرت، حسب رواية البلاذري و ابن الاثير، سنة 239 هـ/853 أو ربما قبل هذا التاريخ، كما جاء في رواية أخري لابن خلدون الذي يورخ الحدث بسنة 227 هـ/842.

ليستطرد القول بأن هناك احتمالا لوجود عباسية رابعة بالمغرب الإسلامي، مستدلا على ذلك أيضا بالمصادر النمية. ذلك أن بعض المسكوكات التي تحمل اسم دار ضرب العباسية و التي نشرها بعض النُميين منذ القرن التاسع عشر، و أرخت بسنوات 140 هـ/757 و 141 هـ/758<sup>14</sup> مما يجعلها أقدم مدن المغرب الإسلامي عامة التي سميت باسم العباسية. و هو ما يجره إلى طرح السؤال الذي يفرض نفسه أين توجد هذه المدينة الأولى المحتملة؟

للإجابة على هذا السؤال يقدم م. أبو الفرج العشي أربع احتمالات :

- "يجوز أن يكون القصر القديم، جنوبي القيروان" موضعا قديما سمّي في عهد الولاة العباسيين بالعباسية و لكن خرب فيما بعد بفعل "الثورات و روح الكراهية لمركز الخلافة... و ما كان عمل إبراهيم بن الأغلب إلا أنه أعاد البناء تجديدا و ترميما، أحيا اسم العباسية إرضاء للخليفة". و أن هذه المدينة الأغلبية التي أطلقت عليها المصادر العربية عدة تسميات تدل جميعها "على النواة التي تشكلت حولها مدينة العباسية" التي شيدها إبراهيم بن الأغلب، دون أن يتعرض بالتحليل للتطور التاريخي لأسماء المدينة القديمة التي قامت على أنقاضها عباسية مؤسس الإمارة الأغلبية ويوضح الأبعاد المختلفة لهذه التسميات.

- "يجوز أيضا أن طبنة التي أطلق عليها العباسية لم تكن مستحدثة من قبل عمر بن حفص، بل كانت أقدم من عهده. و كان عمل عمر هو التجديد و إعادة البناء"

- "يجوز أن يكون في الموضع" الذي يوجد قرب تاهرت و الذي بنيت فيه مدينة العباسية التي شيدها محمد بن الأغلب "مدينة قديمة اسمها العباسية، لكن الاضطرابات و القلاقل خربتها و قضت على اسمها تشفيا من نفوذ الخلافي في تلك المنطقة البعيدة"

- "يجوز" أن تكون مدينة العباسية هذه التي سكّت فيها دراهم سنتي 140 هـ. و 141 هـ. هي مدينة رابعة غير المدن المذكورة وهي مدينة مجهولة لم تذكرها المصادر العربية.

<sup>12</sup>. انظر دراسة م. ابو الفرج العشي، "تحقيق بعض مدن ضرب النقود" المسكوكات، العدد 8-9، 1978 ص. 40-52، خاصة ص. 43-46. نفس العمل نشر باللغة الفرنسية في مدونته حول السكة الأغلبية:

Al-Ush (M. abu-l-Faraj), *Monnaies aglabides, étudiées en relation avec l'histoire des Aglabides*, I.F.D., Damas, 1982.

أنظر أيضا لنفس المؤلف كنز أم حجرة الفضي، دمشق، 1972، ص. 54-56. وهي دراسة سابقة للعلمين المذكورين أعلاه و التي قدم فيها بصورة مقتضبة ما ذكره لاحقا.

<sup>13</sup>. انظر ع. فنينة، "مدينة المهديّة بإفريقية في عصر الولاة العباسيين"، دراسة قيد النشر

<sup>14</sup>. C. J. Tornberg, *Numi Cufici Regii Numophylacii Holmiensis*, Upsala, 1848, n° 19 ; C. M. Fræhn, « Die inedita einer neuen, der numismatischen abtheilung des Asiatischen museums aus Persien gewordenen accession », *Bull. hist. phil.*, 1847, vol. IV, p. 245-256, voir p. 246, n° 3 ; I. A. Arri, *Novas observations in quosdam numos abbasidarum aliosque cuficos sive editos sive anecdotos*, Taurinorum, 1835, p. 28, n° 4 ; W. Tiesenhausen, *Monnaies des Khalifés Orientaux (Moneti vostochnavo khalifata)*, Saint Pétersbourg, 1873, n° 709 et 714. Voir N. Lowick, *Early Abbâsid coinage*, p. 44-45, n° 1-2.

بعد تقديم هذه الاحتمالات الأربعة يستطرد العث بالقول بأن هذه المدينة المغمورة واصلت ضرب السكة في عهد الولاة العباسيين اللاحقين لولاية عمر بن حفص مما يحمله على الاعتقاد بأن العباسية هذه هي التي يذكرها في احتمال الرابع لأنه "لا سبيل إلى تعليل ذلك إلا بأنه توجد مدينة بإفريقية بعيدة حصينة اسمها العباسية - غير المدن التي ذكرناها - ظلت محكومة من أحد أفراد بني يزيد بن حاتم المهلبي وهو يعتز بجده في أثناء حياته و بعد مماته، و ظل هو و من تلاه من أسرته يصدرون الدراهم على النسق القديم دون أي تحوير. حصل هذا بالرغم من أن الأغلبية استطاعوا أن يبسطوا سلطانهم بقوة على رقعة كبيرة جدا من إفريقية"، و يعني ذلك أن العث يعتبر، ضمينا، أن العباسية هذه، أقدم مدن المغرب الإسلامي التي سميت بهذا الاسم وهي مدينة مجهولة توجد خارج حدود الإمارة الأغلبية، دون أن يحدد موضعها بالضبط ربما بالمغرب الأوسط أو المغرب الأقصى.

تبدو لنا محاولة العث لتفسير مختلف المصادر التي تعرضت لمدينة العباسية، و خاصة منها النمية، مضطربة جدا و تكتفي بإحصاء مدن العباسية بإفريقية و المغرب الإسلامي عامة بعدد الروايات. لكن الأمر المؤكد في هذا العرض أن اسم مدينة العباسية ظهر على سكة الولاة العباسيين قبل "تشبيد" العباسية الأغلبية في عهد إبراهيم بن الأغلب، كما تجمع عليه المصادر المكتوبة و الدراسات التاريخية. فهل يعني ذلك أن إفريقية في العهدين العباسي و الأغلبي شيدت بها على الأقل مدينتان سميتا باسم العباسية، إذا استثنينا مدينة محمد بن الأغلب التي لا تدخل في إشكالية هذه الدراسة. و إلى إي مدي يصح الرأي القائل بأن مدينة العباسية التي شرع في تشبيدها إبراهيم بن الأغلب سنة 184 هـ، لم يفرغ من بناءها إلا سنة 185 هـ. أو ربما سنة 186 هـ. أو بعد ذلك؟ و كيف نفسر حينئذ مختلف الإصدارات النقدية التي سكت في هذه الأثناء بهذه المدينة، أي خلال سنوات 184-186 هـ؟ ثم إلى إي حد يمكن قبول الرأي القائل بأن ولاية إفريقية أو ربما المغرب الإسلامي بصفة أشمل عرفت إنشاء مدن أخرى حملت اسم العباسية و هي مدن سابقة للعباسية الأغلبية و التي يستدل على وجودها من خلال الشواهد النمية؟ و في حالة إقرارنا لا محالة بوجود عباسية سابقة للعباسية الأغلبية تعود لفترة الولاة العباسيين فهل بالإمكان تحديد موضعها؟

تجدر الإشارة هنا إلى أن أبحاث نمية سابقة لدراسة العث، يعود بعضها إلى القرن التاسع عشر و بعضها الآخر إلى بداية القرن العشرين، تعرضت باقتضاب لهذه المسألة؛ نخص بالذكر منها أعمال E. von Zambaur. ففي سياق دراسته لبعض نماذج السكة الإسلامية الفريدة، نشر قطعتين سكتا بدار ضرب العباسية تحلمان تاريخ 150 هـ. اعتبرهما أقدم مسكوكات دار الضرب هذه، مفترضا أن العباسية التي كانت بمثابة مقر إقامة والي العباسي منذ ولاية الأغلب بن سالم (148-150 هـ./765-767) و التي توجد حذو حاضرة الولاية، لا تعدو أن تكون سوي مدينة القيروان نفسها بعد تطورها العمراني، و التي لم يظهر اسمها على السكة إلى حدود العصر الفاطمي<sup>15</sup>. هذا الرأي من السهل دحضه، إذ سبق و أن افترضه في أواخر القرن التاسع عشر Stickel<sup>16</sup>. ذلك أنه من المعلوم و منذ فترة طويلة أن اسم إفريقية الذي ظهر على السكة يدل على حاضرة الولاية أي القيروان، و ربما كان الاسم الرسمي لهذه الحاضرة إلى حدود العصر الفاطمي، و التي ضربت السكة بالتوازي مع دار ضرب العباسية. فلا يعقل بتاتا أن تضرب السكة في دار ضرب واحدة باسمين مختلفين في نفس الفترة. كذلك، و كما هو معروف أيضا منذ فترة طويلة، فإن موضع مدينة العباسية يوجد جنوبي مدينة

<sup>15</sup> . E. von Zambaur, « Contributions à la numismatique orientale », 1905, p. 47, n° 9-10. Voir p. 47-50 « Je crois qu'en considérant sans partie pris les traditions que je viens de citer, on ne pourra formuler d'autre opinion que 'Abbâsiya n'était rien que la résidence du gouverneur dans la capitale de la province, pareillement que le « qasr el-Mansour », plus tard, « Qasr el-Khold » et enfin le Harîm était la résidence des Khalifes à Baghdâd. Du récit de Balâdsori on peut conclure que l'armée et les fonctionnaires se sont établis autour du qasr-Qairawan, formant ainsi une nouvelle agglomération urbaine, et finalement ces deux centres de population, l'ancienne ville et la résidence, se sont confondues à ne plus former qu'une seule grande ville. Je suis convaincu que 'Abbâsiya est tout bonnement à identifier avec Qairewân et que le 1<sup>er</sup> nom n'est autre que la qualification officielle (surtout administrative) de la capitale, ainsi qu'on appelait Baghdâd : « Medinat es-Selâm », et Rey « el-Mohammediya ». Puis ajoute, un peu plus loin : « Les monnaies nous apportent au moins une preuve négative. Qairewân ne se trouva jamais sur les monnaies, ainsi que Baghdâd, à l'exception du temps des premiers Fatimides ».

انظر أيضا :

Stickel, *Handbuk*, I, p. 62-63 ; E. von Zambaur, *Die münzprägungen des Islams*, Wiesbaden, 1968, p. 175.

<sup>16</sup> . بعد ان اشار الى الجدال القائم حول تحديد موضع العباسية بين كل من ادلر و فراين و كستغليوني ؛ بين من يعتبرها حيا من احياء بغداد (Adler) و بين من يضعها بقيادة (Frähn و Castiglioni) ، يذهب Stickel إلى الاعتقاد أنها لا تعدو أن تكون سوي مدينة القيروان.

انظر D.J.G..Stickel, *Handbuk*, I, 62-63

القيروان على بعد ميلين أو بنحو 4 كيلومترات و أن المدينتين منفصلتين عن بعضهما البعض، لكل منها أسوارها و أبوابها الخ<sup>17</sup>.

أما ح.ح. عبد الوهاب فإنه يعتبر أن دار ضرب العباسية هذه " ليست بالعباسية المعروفة جنوب القيروان التي أسسها فيما بعد إبراهيم الأول من بني الأغلب، وإنما هي مدينة صغيرة كان أسسها عمر بن حفص المهلب في حدود سنة 152 هـ. لما كان واليا على إفريقية، و العباسية هذه تقع في أرض الزّاب حيث بسكرة الآن في ناحية المعازل الحربية العربية للتخوم الإفريقية"<sup>18</sup>. و الواضح أنه يعتمد في هذا التحديد على رواية البلاذري. ثم أن أبحاثنا، لاحقة لدراسة العرش، تعرضت أيضا بصورة عرضية للمسألة، مثل دراسة س. شما الذي يعتبر " العباسية محلة كانت ببغداد منسوبة إلى العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس. و لا يمكن أن تكون العباسية التي بناها إبراهيم بن الأغلب في سنة 184 هـ (800) أو بعدها، لأن الفلوس المضروبة بدأت من سنة 148 هـ.<sup>19</sup> وهو بذلك يذهب مذهب Le Strange<sup>20</sup> في تفسير هذه الإصدارات. و الواضح ان هذا الرأي لا يأخذ بعين الاعتبار أن الدراهم و ليس الفلوس فقط التي سكّت بدار ضرب العباسية و المؤرخة قبل ظهور الإمارة الأغلبية تحمل أسماء ولاية إفريقية العباسيين. كما أن هذا الرأي يستند فيه صاحبه، على ما يبدو، على فلس يحمل تاريخ السك (148 هـ). دون أن ينقش اسم الوالي عليه.

بعد استعراض أبرز الآراء حول تأسيس مدينة العباسية و نقدها، نعتقد انه بالإمكان تقديم تصور جديدة حول هذه المسألة. لكن من المفيد في البداية الإشارة هنا إلى أن اختلاف الآراء بين المؤرخين و النيمين يعود بالأساس إلى عدم إطلاع هؤلاء على أعمال الآخرين و إهمالهم لهذه المصادر الأثرية البالغة الأهمية لا سيما فيما يتعلق بالمسائل التاريخية خاصة و أنها مصادر رسمية معاصرة للأحداث التي ترويها. لكن هذه المصادر تتطلب دون شك استقرار للمعلومات الواردة عليها و مقابلتها بمصادر أخرى حتى يكون بإمكاننا الوصول إلى الحقيقة المرجوة. كما انه من المفيد الإشارة أيضا إلى أن النيمين الذين تعرضوا لهذه المسألة بصورة عرضية في سياق حديثهم عن مواضيع أشمل، لم يفرّدوا لدار ضرب العباسية دراسة معمقة تعتمد فيها مختلف المصادر التي تعرضت لتاريخ المدينة كما لم يعتمدوا مقارنة منهجية سليمة تأخذ بعين الاعتبار إصدارات العباسية بدون معزل عن إصدارات دار ضرب إفريقية و هي مسألة وقع إهمالها تماما من منظورنا، إذ اقتصر الأمر على الإنكباب على تحقيق اسم مدينة الضرب و تأويل المعلومات الواردة بشأنها لتحديد مجالها فجاءت هذه الآراء مضطربة إلى حد ما بالرغم من أنها تستند إلى مصادر أثرية على غاية الأهمية لحسم هذه القضية.

### III- مدينة العباسية : الموضع و تاريخ التأسيس

إن رصدنا لمختلف الإصدارات النقدية التي سكّت بدار ضرب العباسية بإفريقية<sup>21</sup>، بالاعتماد على المصنّفات النمية، يبين أن دار الضرب هذه اقتضرت على سك الدراهم و الفلوس دون الدنانير<sup>22</sup> كما هو الشأن بالنسبة لمختلف دور ضرب إفريقية عهد الولاة العباسيين. فالدراهم سكّت بدون انقطاع فيما بين 148 هـ و 180 هـ<sup>23</sup> و بعد سنوات 183-184 هـ<sup>24</sup> كما نشر بعض النيمين، و كنا قد المحنا إلى ذلك من قبل، دراهم أرخت بسنة 140 هـ. أو ربما سنتي 140-141 هـ.<sup>25</sup> أما الفلوس فقد سكّت بصورة متقطعة ابتداء من سنة 148 هـ. إلى حدود سنة 183 هـ.<sup>26</sup> فيما عدا بعض الإصدارات القليلة، و التي تعود إلى الفترة الأولى من نشاط دار الضرب، فإن سكة العباسية حملت أسماء مختلف الولاة العباسيين الذين تعاقبوا على حكم ولاية إفريقية. كما أنه عند

<sup>17</sup> . انظر دراسة :

G. Marçais, « Fouilles à Abbâsiyya, près de Kairouan », p. 293-306.

<sup>18</sup> . ح.ح. عبد الوهاب، و رقّات، ج. 1، ص. 426-427 : أنظر أيضا لنفس المؤلف، النقود العربية في تونس، تونس، 1968، ص. 23. هذا الرأي اخذ به بن قربة (ص.)، المسكوكات المغربية من الفتح العربي الى سقوط دولة بني حماد، الجزائر، 1986، 133.

<sup>19</sup> . س. شما، ثبت الفلوس العباسية، لندن، 1998، ص. 77 .

<sup>20</sup> . G. Le Strange, *Bagdad during the abbasid caliphate*, Londres, éd. 1924, p. 142 ; 148.

<sup>21</sup> . انظر الجدول المصاحب أسفله

<sup>22</sup> . عكس ما يذهب إليه ح.ح. عبد الوهاب، النقود العربية، ص. 62-63، عدد 55.

<sup>23</sup> . أنظر :

N. Lowick, *Early Abbâsid coinage*, p. 44-69, n° 1-266.

<sup>24</sup> . أنظر دراسة:

Al-Ush (M. abu-l-Faraj), *Monnaies aglabides*, p. 96, n° 166, 169-170.

<sup>25</sup> . I. A. Arri, *Novas observations*, (140 ?) ; C. J. Tornberg, *Numi cufici*, II, n° 19 (140 H.) ; C. M. Fraëhn, « Die inedita », p. 246, n° 3 ; repris dans W. Tiesenhansen, *Monnaies des Khalifes Orientaux*, p. 69-70, n° 709, 711 et 714 ; N. Lowick, *Early Abbâsid coinage*, n°1-2, p. 44-45 .

مقابلة المعلومات الواردة على سكة العباسية مع ما تقدمه المصادر العربية فيما يتعلق بأسماء الولاية وفترة ولاية كل منهم نجد أن هناك غالباً اتفاقاً بينهما. بينما في الحالات النادرة التي لا تتفق فيها تواريخ السك مع فترة حكم بعض الولاة، فإنها لم تقرأ بصورة مؤكدة. وبالتالي فلا مجال للشك في أن دار ضرب العباسية هذه توجد بإفريقية و أنها سابقة للمدينة الأميرية الأغلبية.

من ضمن القطع التي أرخت بصورة غير مؤكدة، نظرا لصعوبة قراءة تاريخ السك و التي تحتاج إلى التثبت من جديد نخص بالذكر الدراهم التي أرخها بعض النُميين، مع إبداءهم لاحتراز كبير في صحة القراءة، بسنوات 140 هـ. و 141 هـ. في أعمال تعود إلى المنتصف الأول من القرن التاسع عشر. و التي وقع التشكيك في صحة قراءة تاريخ سكها، من قبل مختصين لاحقين منذ بداية القرن العشرين<sup>28</sup>. فالمعلوم أن إفريقية خلال هذه السنة أصبحت خاضعة للخوارج الإباضية و لا يعقل أن يشيدوا مدينة يسمونها باسم العباسيين. مما يجعلنا نعتبر أن الاحتمال الذي يقدمه العرش، بالاعتماد على هذين الإصدارين، حول إمكانية وجود عباسية رابعة غير المدن التي ذكرها و أقدمها هو افتراض يرتكز على أسس هشة، إن لم نقل واهية.

ما يبدو مؤكدا هو أن أولى الدراهم و كذلك الفلوس التي سكت بدار ضرب العباسية تعود إلى سنة 148 هـ.<sup>29</sup> و هي قطعة خالية من اسم الوالي العباسي. ثم أصبحت دراهم سنوات 149 هـ. و 150 هـ. تحمل في أسفل مركز الظهر كلمة "غلب"<sup>30</sup> وهو ما يتفق مع ما تذكره المصادر العربية حول ولاية الأغلب بن سالم التميمي الذي تولي إمرة إفريقية فيما بين 148 هـ. و 150 هـ. وهو ما يجعلنا ندعم الافتراض الذي أبداه من قبل Zambaur<sup>31</sup>، و الذي ارتكز على قطعة من مجموعته الخاصة تحمل تاريخ 150 هـ. وهي قطعة خالية من اسم الوالي العباسي، بأن تشييد العباسية يعود إلى ولاية الأغلب بن سالم التميمي، و أن هذه المدينة، إن صح التعبير، أو دار الضرب و التي لم تذكرها المصادر العربية، واصلت، منذ تأسيسها، في سك دراهم و فلوس تحمل ابتداءً من ولاية عمر بن حفص (151-154) أسماء الولاة العباسيين بدون انقطاع. فهل يعني ذلك أنها أصبحت المقر الرسمي للولاية العباسية بإفريقية قبل ظهور الإمارة الأغلبية ؟

نفترض أن محمد بن الأشعث سبق و أن ابنتي في موضع العباسية التي أسسها الأغلب بن سالم التميمي قصرا، عندما هجر دار الإمارة بالقيروان<sup>32</sup>. و أصبحت منذ ذلك الحين مركز السلطة حيث استقر الولاة العباسيون الذين تعاقبوا على حكم إفريقية أو على الأقل اتخذوها كمقر إقامة ثانوي. المهم أنها تعود في نشأتها إلى الأغلب بن سالم التميمي المعروف بولائه للعباسيين و الذي اتخذ هذه التسمية ليطلقها على مدينته المحدثه تكريما دون شك، للخليفة العباسي الذي ولاه إمرة إفريقية. لكن هذه المدينة، فترة ولاية الأغلب على الأقل، لم يكن لها شأن يذكر نظرا لأنها كانت في مرحلة التشييد و بحكم قصر فترة ولايته لأن الثورات و الإضطرابات التي شهدتها إفريقية أودت بحياته و لم يكن بإمكانه الفراغ من مشروعه التعميري لمدينته المحدثه. وهو ما يفسر ربما إلى حد ما إغفال المصادر العربية ذكر هذا الحدث.

المؤكد بالنسبة لنا أن هذه المدينة المحدثه و التي كانت، دون شك في طور البناء، أو على الأقل دار إمارة و مستقر الولاة العباسيين بإفريقية تحتوي إلى جانب قصر أو قصور مختلف الولاة العباسيين الذين تعاقبوا على حكم إفريقية و بعض الدوايب الإدارية منها دار ضرب السكة و التي كما سلف و أن ذكرنا سكت الدراهم و الفلوس بدون انقطاع طوال فترة الولاة العباسيين، كانت تضرب سكة بالتوازي مع دار ضرب إفريقية/القيروان. مما يعني أنها مدينة قائمة الذات، لا يمكن قط الخلط بينها و بين مدينة القيروان. و الأهم من هذا أنها لفترة وجيزة (149-175

<sup>26</sup>. سكت بدار ضرب العباسية الفلوس في السنوات التالية : 148، 162، 163، 165، 167، 169، 171، 172، 173، 175، 177، 179، 180-183 هـ. أنظر :

س. شما، ثبت الفلوس العباسية، ص. 77-79، 1-22، n° 300-301، *Early Abbâsid coinage*، N. Lowick،

<sup>27</sup>. C. J. Tornberg، *Numi cufici*، II، n° 19 (140 H.?) ; I. A. Arri، *Novas observations*، p. 28.

<sup>28</sup>. انظر خاصة:

Zambaur (E. von)، « Contributions à la numismatique orientale »، p. 50.

<sup>29</sup>. Collection Limbada، cité par N. Lowick، *Early Abbâsid coinage*، p. 44-45، n° 3-4. et p. 300، n° 1 (BMC، 172-174) ; voir également S. Shamma، *A catalogue of Abbâsid copper coins*، p. 77، n° 1.

<sup>30</sup>. N. Lowick، *Early Abbâsid coinage*، p. 44، n° 3-4.

<sup>31</sup>. Zambaur (E. Von)، « Contributions à la numismatique orientale »، p. 49. « Quant à l'époque précise de la fondation، il s'ensuit de la date de notre dirham que ni Omar ni Ibrâhîm n'en pouvait être l'auteur... nous arrivons à cette supposition que la ville fut fondée par le premier Aghlabide que nous connaissions، el-Aghlab ibn Sâlim، gouverneur d'Ifrîqiya de 148 à 150 ». Note 2، De même C. M. Fraehn، « Numi kifîci anecdoti ex variis museis selecti »، *Mémoires de l'Académie Imp. Des Sciences de St. Pétersbourg*، 1823، p. 36، a émis cette opinion qu'Ibrahim، au lieu d'être le fondateur d'une ville nouvelle، s'était borné à rebâtir et à fortifier el-'Abbâsiya. Voir aussi *Lettre de M. Bartholomai à M. Soret* (septième lettre، Bruxelles، 1862، p. 17).

<sup>32</sup>. أنظر ف. محفوظ، "قصر الماء"، ص. 135.



159 هـ). أوكلت لها مهمة ضرب السكة بإفريقية دون سواها بعد أن توقفت دار ضرب إفريقية/القيروان عن السك. و هو ما يعني إن دار ضرب العباسية لم تكن كما يمكن أن يتبادر إلى الذهن دار ضرب ثانوية مقارنة بدار ضرب إفريقية، بل دار الضرب الرئيسية على الأقل طيلة عقد من الزمن، يوافق فترة ولاية كل من الأغلب بن سالم التميمي و من جاء بعده من الولاة إلى حدود ولاية يزيد بن حاتم (155-170/772-787)، و الذي أعاد نشاط السك إلى دار ضرب إفريقية بعد بضعة سنوات من حكمه بعد أن تمكن من المسك بناصية ولاية إفريقية و فرض سلطته. لكنه في الآن نفسه أبقى على نشاط السك بدار ضرب العباسية، و الذي يبدو أنه كان مكثفا من حيث حجم الإصدارات و لا يقل شأنا، أو ربما يفوق، ما كانت تصدره دار ضرب إفريقية فيما عدي سنوات 181 و 184 هـ. أي الفترة التي سبقت بقليل لحظة ارتقاء إبراهيم بن الأغلب إلى الإمارة؛ مما يجرننا للقول بأن إصدار 184 هـ. و ما جاء بعده من الإصدارات لا يثير استغرابنا و أنه يتماشى بالعكس تماما مع منطلق سير الأحداث، عكس ما يذهب إليه الأستاذ محمد الطالبي. وهو أيضا مؤشر على أن مركز السلطة يوجد آنذاك بالعباسية و ليس بإفريقية (القيروان) على الأقل في بعض الفترات؛ ناهيك أن داري ضرب ولاية إفريقية (القيروان و العباسية) كانتا تزود الإمبراطورية العباسية في الفترة التي تتراوح بين 150 هـ. و 170 هـ. بحوالي ربع حجم الإصدارات الجمالية للدرهم<sup>33</sup>. وهو ما جعل من ولاية إفريقية في العهد العباسي الأول تحتل موضعا مركزيا في اقتصاد الإمبراطورية العباسية، عكس النظرة السائدة في اعتبار هذه الولاية هامشية.

هذه المدينة أو دار الإمارة أي مستقر الولاة العباسيين بإفريقية لا بد و أنها توجد قرب حاضرة الولاية القيروان حيث يتولى الوالي إمرة البلاد و الخطبة في الجامع الكبير، خاصة أنها سكت إلى جانب الفلوس الدراهم بالأساس وهي من مشمولات الوالي دون سواه و تخضع لمراقبته المباشرة. كما انها لفترة عقد من الزمن اتخذت كدار ضرب وحيدة لتزويد إفريقية بالسكة. و هكذا فإننا نعتبر أن دار ضرب العباسية التي أنشأها الأغلب بن سالم التميمي و اصل الولاة العباسيين الذين جاؤا من بعده ضرب السكة بها هي مدينة العباسية التي تجمع الدراسات التاريخية على اعتبار أن إبراهيم بن الأغلب مؤسسها.

مثل نصّ البلاذري عمدة الدراسات التي نحت في تناولها اشكالية تأسيس العباسية لتؤرخ حدث تأسيس المدينة بسنة 184 هـ، غير أن قراءة متمعنة في النص المذكور تسمح بتقديم نظرة مغايرة تدفع في اتجاه حملنا على القول به المصادر النامية. لكن قبل الخوض في محتوى النص و يجب تقديم مجموعة ملاحظات تمهيدية.

البلاذري (ت. 279/892)، الذي بالرغم من معاصرته للإمارة الأغلبية، لم يزر إفريقية. و لكن يبدو وصفه لمدينة العباسية و مختلف مراحل تشييدها دقيقا و لو أنه مقتضب جدا ذلك لأنه استقى معلوماته من "أحد الموالى الأغلبية المشهورين وهو أحمد بن نافذ"<sup>34</sup>. يذكر في كتابه فتوح البلدان "فإبنتي إبراهيم القصر الأبيض الذي في قبلة القيروان على ميلين منها. و خطّ للناس حوله. فإبنتوا. و مصر ما هناك، و بني مسجدا جامعاً بالجص و الأجر و عمد الرخام و سقفه بالأرز و جعله مائتي ذراع في نحو مائتي ذراع و ابتاع عبيد أعنتهم، فبلغوا خمسة آلاف و أسكنهم حوله و سمي تلك المدينة العباسية وهي اليوم أهلة عامرة"<sup>35</sup>. يوحى لنا هذا المؤرخ إذا بأن العباسية، التي أصبحت في عصره مدينة "أهلة عامرة"، لم يحدثها إبراهيم بن الأغلب من عدم وإنما على أنقاض مباني تعود لفترة سابقة، لا شك أنها تعود على الأقل إلى فترة الولاة العباسيين. فهو يشير في مطلع روايته إلى أن مؤسس الأسرة الأغلبية قام في البداية بتشييد قصره الأبيض في موضع المدينة المزمع إحداثها. وهو ما يعني في واقع الأمر أنه لم يقم بقصور الولاة العباسيين السابقين، مثل قصر الماء أو قصر الرصافة الذي يذكر البكري انه كان حذو العباسية<sup>36</sup>. ثم أنه، عكس من سبقه من الولاة، لم يتفرد بسكني هذا الموضع وإنما وزع حوله الخطط على "الناس" من أفراد أسرته و حاشيته و أفراد جنده الخاص من العبيد الذين عنقهم، فإبنتوا". بعدها "مصر ما هناك" وهي عبارة هامة توحى بأن الموضع معمور من قبل. فلفظة مصر تعنى

<sup>33</sup>. أنظر دراسة:

E. Savage et A.-A Gordus, « Dirhams for the Empire », *Genèse de la ville islamique en al-Andalus et au Maghreb occidental*, éd. P. Cressier et M. Garcia-Arenal, Madrid, 1998, p. 377-402; T. Noonan, « Early °Abbâsîd mint output », *JESHO*, 29, 1986, p. 113-175.

Thid marked the beginning of what has been called the North African period of °Abbâsîd mint production during which the North African mint of al-°Abbâsiye "emerged as the single most productive mint" of the empire », E. Savage et A.-A Gordus, « Dirhams for the Empire », 381; T. Noonan, « Early °Abbâsîd mint output », *JESHO*, 29, 1986, p. 148.

<sup>34</sup>. أنظر ف. محفوظ، "قصر الماء"، ص. 130.

<sup>35</sup>. البلاذري، فتوح البلدان، ص. 235. ورد هذا النص في م. الطالبي، الدولة الأغلبية، ص. 153.

Qu'après la révolte de l'armée arabe, Ibrâhîm Ibn al-Aghlab édifia à deux milles au sud de Kairouan le » Palais Blanc, autour duquel les gens ont érigé leurs demeures (...) la ville s'appelait al-Abbâsiya. Elle est .de nos jours, écrit-il, encore bien peuplée », F. Mahfoudh, Qasral-Mâ', *CRAI*, 1<sup>er</sup> fasc., p. 57

<sup>36</sup>. البكري، المسالك و الممالك، ج. 2، ص. 680.

حسب المعاجم التمددين؛ مثل قولهم مصرّ الامير المكان جعله مصرا، و يقال مصرّ الامصار مثل مدّن المدائن. نستشف اذا من هذه العبارة أن عمل إبراهيم بن الاغلب تمثل، بعد تشييده لقصره، في تعمير المكان ببناء المنشآت المعمارية الأساسية مثل الجامع، حتى يصبح المكان مدينة مكتملة الملامح. ويختم البلاذري قوله بأن الأمير الأغلب "سُمي تلك المدينة العباسية" وهي عبارة محيرة توحي، كما جاء في كل الدراسات التاريخية، بأن إبراهيم بن الأغلب أسس مدينة جديدة أطلق عليها تسمية العباسية. تجدر الإشارة هنا إلى أن نفس المؤرخ تحدث في موضع آخر عن أن والي إفريقية عمر ابن حفص (151-154 هـ) شيد ببلاد الزاب مدينة سماها العباسية<sup>37</sup>. ولكن على ضوء ما ذكرناه بالاعتماد خاصة على السكة نتبين أن هذه المدينة قديمة أحدثت قبل تولي إبراهيم بن الأغلب إمارة إفريقية وسميت العباسية وهو ما تدعمه المصادر النامية. مما يجعلنا نعتبر أن هذه العبارة تشير في واقع الأمر إلى أن عمل إبراهيم بن الأغلب اقتصر على الاحتفاظ بالتسمية القديمة التي أطلقها والده وواصل اعتمادها من طرف من جاء بعده من الولاة على الموضع الذي اتخذها مقرا لسلطته. احتفاظه بالتسمية القديمة لا شك انه يعود لرغبته في تخليد ذكرى والده. وهو ما حمل المؤرخين القدامى على التمييز بين حدثي التأسيس و التتمير بإطلاق تسمية القصر القديم على "المدينة" المحدثّة من طرف الأغلب بن سالم أي قصر العباسية الذي اصبح بعد تشييد مدينة العباسية على نفس الموضع من طرف إبراهيم بن الأغلب قصرا قديما. وهكذا يبدو لنا واضحا السبب الذي جعل المصادر تطلق تسمية القصر القديم على مدينة العباسية، باعتبار أن العباسية الأولى لم تكن في واقع الأمر سوى قصرا عكس المدينة المشيدة من طرف إبراهيم بن الأغلب. هذا الموضع لم يكن بحق مدينة مكتملة المعالم وإنما مجرد مقر للوالي وإدارته المركزية. فهو لا يحتوي على مسجد جامع و لا حمامات و لا أسواق و لا سكن، كما هو الحال في الأمصار، وإنما يقتصر على دار الإمارة و دواليها الإدارية و بالتاكيد دار السكة. كان بإمكان إبراهيم بن الأغلب طبعا تغيير التسمية السابقة و اتخاذ تسمية جديدة لمدينته خاصة و أنها أصبحت تحتوي على كل مكونات المدينة و لو أنها قامت على أنقاض أو إلى جوار مدينة سابقة. لكنه خير الإبقاء على التسمية القديمة خاصة و أنها تعود إلى والده و أنه لم يشأ أن يغير تسمية لها رمزيتها في الاعتراف بالخلافة العباسية كما فعل من قبل والده.

## الخاتمة

خلاصة القول أن العباسية، القصر القديم تعددت الأسماء و الموضع واحد كما جاء في دراسة الصديق الأستاذ فوزي محفوظ<sup>38</sup>. وهي أيضا مدينة واحدة فترتي الولاة العباسيين و الأغالبة. أسسها الأغلب بن سالم التميمي أو على الأقل شيد النواة الأولى و التي اقتصر على ما يبدو على دار الإمارة و دون شك دار الضرب. و ربما كان ذلك على أنقاض قصر الماء. ثم اتخذها من جاء بعده من الولاة العباسيين كمستقر لهم دون أن ترتقي بعد إلى درجة المدينة. هذه اللحظة حصلت عندما تولي إمارة إفريقية إبراهيم بن الأغلب سنة 184/800. شرع إثرها في تشييد قصره الأبيض و اختط للناس حوله من أهله و حاشيته و حرسه من العبيد و بني بها مسجده الجامع و حصنها حتى أصبحت بمرور الوقت مدينة باتم معنى الكلمة قامت على أنقاض القصر القديم<sup>39</sup> أو قصر العباسية

<sup>37</sup> . أنظر حول هذه المدينة ع. فنيّة "مدينة المهديّة بإفريقية في عهد الولاة العباسيين" دراسة قيد النشر.  
<sup>38</sup> . فوزي محفوظ، "قصر الماء، العباسية، القصر القديم"، ص. 119-144

<sup>39</sup> . Selon F. Mahfoudh, « Qasr al-Mâ' », *CRAI*, p. 62-63, « A partir du X<sup>e</sup> siècle le toponyme al-Abbâsiya disparaît, pour laisser la place à d'autres appellations apparemment plus neutres, en particulier celles d'al-Qasr ou d'al-Qasr al-Qadîm (« le vieux palais »). Ce dernier nom a suscité des interrogations sur son sens. Quelques hypothèses ont été formulées pour l'expliquer :

- Solignac pensait que le toponyme évoque le Vieux Palais, al-Qasr al-Abiad (le Palais Blanc) signalé par al-Balâdhurî, et qui fut selon ses dires la première construction érigée par Ibrâhîm ibn al-Aghlab, supposition qui ne tient pas compte du passé romain de l'endroit ;
- La lecture d'Ibn Idhârî, auteur tardif du XIII<sup>e</sup> siècle, qui décrit dans un passage al-Abbâsiya et Raqqâda, laisse penser que le terme al-Qasr al-Qadîm avait été adopté après la construction de Raqqâda, cette dernière serait le Nouveau Palais, al-Abbâsiya étant l'ancien ;
- A ces deux hypothèses l'on pourrait ajouter une troisième: al-Qasr al-Qadîm avait été choisi pour sauvegarder le souvenir d'un ancien château, ou tout simplement du château d'eau qui se trouvait *in situ* ; ce fut sans doute l'édifice le plus important qui a été remarqué depuis le premier contact des Arabes avec la région. Le Qasr al-Qadîm pourrait être tout simplement une construction de Qasr al-Mâ' al-Qadîm. L'adjectif « ancien » (al-qadîm) se rapporterait ainsi à la période romaine et non au règne d'Ibrâhîm Ibn al'Aghlab. . 136-135. ص. 136-135. أنظر فوزي محفوظ، "قصر الماء، العباسية، القصر القديم"، ص. 136-135.

القديم و التي أطلق عليها البعض من المؤرخين العرب قصر إبراهيم. كما أطلقت عليها تسميات عدة: قصر/قصور الأغالبة أو دار/منازل الأغالبة لنزول الأمراء الأغالبة الذين أتوا بعده بها و سميت أيضا بقصر القيروان/قيروان، ربما منذ فترة الولاة العباسيين، باعتبارها مدينة أميرية لا تبعد إلا بضعة كيلومترات من حاضرة الإمارة و تحتوي على مركز السلطة السياسية و مؤسسات الدولة و التي تدعمت في فترة الأغالبة فعرفت بهم و أسند تأسيسها لمؤسس الإمارة الأغلبيّة إبراهيم بن الأغلّب. و هكذا يبدو بديها أنه وقع التمييز بين المدينة الأولى التي أصبحت تحمل تسمية القصر القديم عوض العباسية، التسمية التي أصبحت خاصة بالمدينة الأميرية التي شيدها إبراهيم ابن الأغلّب.

---

-أنظر نص البكري في كتابه، المسالك و الممالك، ط. تونس، 1992 ص. 679 ؛ أنظر أيضا ابن عذاري، البيان المغرب، 1، ص. 208.

- ابن خلدون (ع.)، العبر و ديوان المبتدا و الخبر، في ايام العرب ة العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، ج. 4، بيروت، 1968.
- ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، تح. ج.س. كولان و إ.ل. بروفنسال، ج. 1، بيروت، 1983.
- ابو الفرج العشي (م.)، "تحقيق بعض مدن ضرب النقود" المسكوكات، العدد 8-9، 1978 ص. 40-52
- ابو الفرج العشي (م.)، كنز أم حجرة الفضي، دمشق، 1972، ص. 54-56
- البكري (ابي عبيد)، المسالك و الممالك، ج. 1، بيت الحكمة، تونس، 1992
- البلاذري، فتوح البلدان، تح. رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983.
- الرماح (م.) "ملاحظات حول ضرب السكة بالقيروان"، إفريقية، 19، 2002، ص. 5-16
- الطالببي (م.)، الدولة الأغلبية، تعريب م. الصيادي، بيروت، 1985
- بن قربة (ص.)، المسكوكات المغربية من الفتح العربي الى سقوط دولة بني حماد، الجزائر، 1986
- شما (س.)، ثبت الفلوس العباسية، لندن، 1998.
- عبد الوهاب (ح. ح.)، ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية، ج. 1، تونس، 1972، ص. 353-359
- عبد الوهاب (ح. ح.)، النقود العربية في تونس، البنك المركزي، تونس، 1968.
- فنينة (ع.)، "مدينة المهديّة بإفريقية في عصر الولاة العباسيين"، قيد النشر
- محفوظ (ف.)، "قصر الماء، العباسية، القصر القديم : تعددت الأسماء و الموضوع واحد"، إفريقية، 19، تونس، 2002، ص. 119-144.
- ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج. 4، بيروت، 1979، ص. 75-76.

- ABDUL-WAHAB (H.H.), « al-°Abbâsiyya », *EP*<sup>2</sup>, I, p. 24-25.
- ARRI (I. A.), *Novas observations in quosdam numos abbasidarum aliosque cuficos sive editos sive anecdotes*, Taurinorum, 1835.
- FENINA (A.) et alii, *Numismatique et histoire de la monnaie en Tunisie*, t. II, *Monnaies islamiques*, Tunis, 2007.
- FOURNEL (H.), *Les Berbères. Etude sur la conquête de l'Afrique par les Arabes*, vol. I, Paris, 1875.
- FRÄHN (C. M.), « Die inedita einer neuen, der numismatischen abtheilung des Asiatischen museums aus Persian gewordenen accession », *Bull. hist. phil.*, 1847, vol. IV, p. 245-256.
- FRÄHN (C. M.), *Recensio Numorum Muhammedanorum*, 1826.
- LAVOIX (H.), *Catalogue des monnaies musulmanes de la Bibliothèque Nationale*, t. I, Paris, 1887.
- LE STRANGE (G.), *Bagdad during the abbasid caliphate*, Londres, éd. 1924.
- LOWICK (N.), *Early °Abbâsid coinage. A type corpus (132-218 H/ AD 750-833)*, éd. E. Savage, Londres, 1999.
- MAHFOUDH (F.), *Qasr al-Mâ, al-Abbâsiya et al-Qasr al-Qadîm : à propos de quelques agglomérations près de Kairouan*, *CRAI*, 1<sup>er</sup> fasc., Paris, 2003-2, p. 49-64.
- MARÇAIS (G.), « Fouilles à Abbâssiya, près de Kairouan », *Bulletin Archéologique du Comité des Travaux Historiques et Scientifiques (BACTHS)*, 1925, p. 293-306.
- MARÇAIS (G.), *Architecture musulmane d'Occident*, Paris, 1954.
- NOONAN (T.), « Early °Abbâsid mint output », *JESHO*, 29, 1986, p. 113-175.
- SAVAGE (E. ) et GORDUS (A.-A.), « Dirhams for the Empire », *Genèse de la ville islamique en al-Andalus et au Maghreb occidental*, éd. P. Cressier et M. Garcia-Arenal, Madrid, 1998, p. 377-402.

- STICKEL (D.J.G.), *Handbuch zur morgenländischen münzkunde*, I, Leipzig, 1845.
- TALBI (M.), *L'Émirat aghlabide (184-296/800-909). Histoire politique*, Adrien-Maisonneuve, Paris, 1966.
- TIESENHAUSEN (W.), *Monnaies des Khalifes Orientaux (Moneti vostochnavo khalifata)*, Saint Pétersbourg, 1873.
- TORNBORG (C. J.), *Numi Cufici Regii numophylacii Holmiensis quos omnes in terra Sueciae repertos digessit et interpretatus est*, Upsula, 1848.
- AL-<sup>c</sup>USH (M. abu-l-Faraj), *Monnaies aglabides, étudiées en relation avec l'histoire des Aglabides*, I.F.D., Damas, 1982.
- VONDERHEYDEN (M.), *La Berbérie orientale sous la dynastie des Bénou-l'Arlab*, Paris, 1927.
- ZAMBAUR (E.von), « Contributions à la numismatique orientale. Monnaies inédites ou rares des dynasties musulmanes de la collection de l'auteur », dans *Numismatische Zeitschrift*, T. XXXVI, Vienne, 1905 (1904), p. 43-122.
- ZAMBAUR (E.von), *Die münzprägungen des Islams*, Wiesbaden, 1968.

جدول إصدارات الدراهم بداري ضرب السكة بإفريقية فترة الولاة العباسيين: العباسية و إفريقية ( من خلال مدونة:

N. Lowick, *Early 'Abbâsid coinage. A type corpus (132-218 H/ AD 750-833)*, p. 44-85

إفريقية	العباسية	تواريخ الحكم	الولاة
[133]		127-137/744-754	عبد الرحمان بن حبيب
140	[ 140 <sup>س</sup> ]	138-140/755-757	حبيب بن عبد الرحمان
141	[140/1 <sup>س</sup> ]		
142		144-148/761-765	محمد بن الأشعث
143			
144			
145			
146			
148	148	148-1150/765-768	الاعلى بن سالم التميمي
	149		
	150		
	151	151-154/768-771	عمر بن حفص
	152		
	153		
	154		
	155	155-170/772-787	يزيد بن حاتم
	156		
	157		
	158		
	159		
160	160		
[? 161]	161		
[? 162]	162		
163	163		
164	164		
165	165		
166	166		
167	167		
168	168		
169	169		
170	170		
171	171	171-174/788-791	روح بن حاتم
172	172		
173	173		
174	174	174-177/791-793	نصر بن حبيب
175	175		
176	176		
177	177	177-178/793-794	الفضل بن روح
178	[178]		
179	[179]	179-181/795-797	هرثمة بن اعين
180	[180]		

181		181-183/797-799	محمد بن مقاتل العكي
182			
183			
184		184-196/800-812	ابراهيم بن الاغلب

## لوحة\*

1. درهم ضرب بالعباسية سنة 154 هـ. في ولاية عمر بن حفص (BnF, Lavoix, 638)
2. درهم ضرب بالعباسية سنة 158 هـ. في ولاية يزيد بن حاتم (BnF, Lavoix, 705)
3. درهم ضرب بالعباسية سنة [?6] 16 هـ. في ولاية يزيد بن حاتم (BCT, Fenina, 128)
4. درهم ضرب بالعباسية سنة [?1] 17 هـ. في ولاية يزيد بن حاتم (BCT, Fenina, 133)
5. درهم ضرب بافريقية سنة 171 هـ. في ولاية روح بن حاتم (BCT, Fenina, 134)
6. درهم ضرب بالعباسية سنة 184 هـ. في إمارة ابراهيم بن الاغلب (Lavoix, BnF, 828)

---

أخذت الصور من مجموعتي البنك المركزي التونسي و Cabinet des Médailles de Paris. يطيب لي أن أتوجه بجزيل الشكر إلى كل من السيد علي الخيري و François Thierry على مساعدتهم لي على اخذ الصور.